## المحاضرة السادسة : نظرية صعود مجتمع الشبكة لمانويل كاستلز

**تقديم**

لفهم المشهد المتغير في عصرنا. تحاول هذه النظريات شرح وتحليل التأثيرات التي أحدثتها الشبكات الرقمية وغيرها من أشكال تكنولوجيا الاتصالات على المجتمع والثقافة. لقد أحدث المجتمع الشبكي تحولاً في العديد من جوانب الحياة الاجتماعية، بشكل مباشر وغير مباشر. إن القدرة على التواصل مع الأشخاص عبر مسافات كبيرة مكنت الأشخاص من تكوين علاقات أكثر تعقيدًا من أي وقت مضى. من منطلق هذا التحول تقع اسهامات كاستلز النظرية ضمن وصف تأثير وسائل الإعلام الجديدة وتفسير الكيفية التي تمكننا بها التكنولوجيا من التواصل.

**مفهوم مانويل كاستيلز عن "صعود مجتمع الشبكة"**

إن أبرز نظرية حول المجتمع الشبكي هي مفهوم مانويل كاستيلز حول "صعود المجتمع الشبكي"، والذي أوضحه لأول مرة في كتابه "عصر المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة" (1996). يرى كاستيلز أننا ننتقل من عصر صناعي يتميز بمنظمات رأسية واسعة النطاق ذات سلطة مركزية إلى عصر شبكي حيث تكون السلطة لا مركزية عبر علاقات أفقية متعددة بين كيانات أصغر.

هذا التحول بحسب كاستلز قد أدى إلى ظهور نوع جديد من التنظيم الاجتماعي، وهو تنظيم لا يتكون في المقام الأول من الأفراد فحسب، بل أيضًا من مجموعات مرتبطة ببعضها البعض من خلال الشبكات أو المجتمعات الافتراضية. وقد دفعه هذا التحول إلى وصف عصرنا بأنه "عصر المعلوماتية" بسبب اعتماده على تقنيات الاتصال مثل أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة وأنظمة الإرسال عبر الأقمار الصناعية وغيرها، لمعالجة البيانات بسرعة وتخزينها على نطاق واسع عبر العديد من أنواع مختلفة من البيانات وأجهزة التخزين .

بالنسبة لكاستيلز، تعني هذه التغييرات أن المجتمعات لم تعد قادرة على الإنتاج أكثر من الاستهلاك، بل تركز بدلا من ذلك بشكل متساو على كلا النشاطين – ما يسميه "نموذج العاملين" – حيث يوازن الفاعلون الاقتصاديون بين تحقيق الربح وتحسين بيئتهم ، إن هذا الطرح لكاستلز جعل الكثيرين يعتقد أن هذا الأخير يبرر الايديولوجية الرأسمالية في شكلها المتطور تكنولوجيا باعتبارها النمط المهيمن لروح العصر الحالي بدلا من الانطلاق نحو فهم الواقع الاجتماعي الذي عشناه وما زلنا نعيش فيه جراء تطور الوسائط الاتصالية. بحيث يشببه الكثير بحقبة ماكس فيبر في بداية العصر القرن الذي اعتبر استبعاد التفسير الديني أساس روح العصر ضمن مفهومه " نزع القداسة عن العالم " حيث أبرز من خلاله مظاهر المجتمع الحداثي الصاعد. غير أن هذا التشكيك في منطلقات كاستلز لا ينقص في كون نظريته تعتبر من الأعمال القليلة التي ربطت بين العلوم الاجتماعية وتقنيات الاتصال.

ورغم أن كاستلز أقر باختلافه مع منظور ماكلوهان في أن الوسيلة هي الرسالة غير أن اهتمام كاستيلز بوسائل الإعلام الجديدة وأشكال الاتصال بالإضافة إلى التأثير الأوسع للتكنولوجيات لا يقوض أفكار ماكلوهان العامة حول ماهية وسائلالإعلام وكيفية عملها. لذلك يبدو أنكاستيلز ورث فيالواقع موقف ماكلوهان العام تجاه وسائل الإعلام وطورها بشكل أكبر باعتبارها امتدادا للبشر، مما يحدد نطاق وفعالية أنشطتهم لما هو في منطقالشبكة.

من الواضح بالنسبة لكاستيلز أن وسائل الإعلام تشهد مؤخرا تغييرا كبيرا – التقارب و" تشكيل نص تشعبي ولغة

وصفية تدمج لأول مرة فيالتاريخ، فينفسالنظام النص المكتوب والشفوي والمسموع ومع ذلك فإن نظام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديد لايتم دمجه كوحدة واحدة بلكشبكة تعمل وفقا لمنطق الشبكة المحدد.

إن بطل هذ التقارب الإعلامي والوسيلة المعاصرة هي بالتأكيد شبكة الإنترنت منأجهزةالكمبيوتر والخوادم المتصلة القادرة على ربط ودمج التقنيات والمحتويات غير القابلة للقياس والتوفيق بين تعدد أنماط الاتصال.

**مفهوم الشبكة**

ما هيالشبكة ؟" ببساطة الشبكة عبارة عن مجموعة من العقد المترابطة والشبكات هي"أنماط الاتصال التي يتم إنشاؤها عنطريق تدفق الرسائل بين المتصلين عبرالزمان والمكان، فتدفقات معالجة الشبكات عبارة عن تدفقات من المعلومات بين العقد والتي يتم تداولها عبر قنوات الاتصال بين العقد.

هناك العديد من القضايا الهامة التي ينطلق منها منظور مجتمع الشبكة،أولا كان كاستيلز واضحا تماما فيأن فكرة الشبكات تأتي من عالم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ثانيا يتمثلالاختلاف عن وسائل الإعلام في أفقية الشبكات: ففي عصر وسائل الإعلام كانت تدفقات المعلومات خطية وعمودية من المركز المتميز إلى الأطراف.

بالتأكيد ليست كل العقد متساوية، فبعضها يصبح أكثرأ همية فهي تزيد من أهميتها من خلال استيعاب المزيد من المعلومات ومعالجتها بكفاءة أكبر ومع ذلك فيعصر اللامركزية الحالي" العقد الرئيسية ليست مراكز، ولكنها محولات تتبع منطق الشبكات بدلا من منطق الأوامر .وبعبارة أخرى، فإن العقد الرئيسية للشبكة ليست الموصلات أو المحافظين، ولكن محولات الشبكات، التي تقوم بعمليات التضمين/الاستبعاد.

**مرتكزات نظرية صعود مجتمع الشبكات**

تعمل اللامركزية والبنية الشبكية لوسائل الإعلام/تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على إضفاء الطابع الديمقراطي على الاتصالات حيث يتحول المتلقون السابقون للرسائل المنقولة عبر القنوات الإعلامية، في الوقت الحاضر إلى جمهور نشط، وبالتالي ينبغيأيضا اعتبارهم بمثابة نقاط اتصال في الشبكة إلى جانب المؤسسات الإعلامية والأشياء التكنولوجية. وبالتالي فإن وضع البشر والتكنولوجيا معا يقترب من فكرة ماكلوهاني المتمثلة في امتداد البشر من خلال التواصل بينهم.

التحولان الرئيسيان الآخران للتكنولوجيات المعاصرة التيكان لها تأثير اجتماعي يتعلقان بالزمان والمكان، فالعصر الصناعي السابق نظام زمني خاص به، يسميه كاستيلز "توقيت الساعة". يختلفهذا النظام الزمني بشكل أساسي عن الوقت البيولوجي لمجتمعات ما قبل الصناعة، وكان عبارة عن تسلسل زمني ميكانيكي، حيث لم يتم قياس الأنشطة البشرية عن طريق الإيقاعات البيولوجية، ولكن عن طريق وحدات زمنية سرية. بلغ الزمن الصناعي ذروته فيالخياطية والتنظيم العلمي للعمل، عندما كان وقت العمل يُقاس بأصغر الحركات البشرية في خط التجميع.

يطلق كاستيلز على النظام الزمني المعاصر من فكرة الزمن الخالد، فمن ناحية هو وقت مضغوط كما هو الحال في المعاملات التجارية اللحظية أو تفاعلات التواصل بعيدة المدى في الوقت الفعلي. ومن ناحية أخرى، فإن الوقت "غير متسلسل بما فيذلك الماضي والحاضر والمستقبل يحدث في تسلسل عشوائي" كما هو الحال في النص التشعبي الإلكتروني.